

وماسواها (227)



sadigalsamarrai@gmail.com

ما يسود يقود!!

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

المجتمعات البشرية يقودها ما يسودها ، فإذا سادها الطالح فهي طالحة ، وإن سادها الصالح فهي صالحة ، فإذا تسيد عليها الفساد تكون فاسدة ، وإذا تمكن منها العدل والإنصاف كانت مجتمعات آمنة مطمئنة ، وعلى ذلك تقاس أحوال المجتمعات وتتحدد مصائرها .

وفي واقعنا العربي تكون أحوال الدول والمجتمعات وفقا لما يسودها ويقودها من الرؤى والتصورات والمنطقات ، وتمر بمراحل متوافقة مع ذلك ، فبعضها يسوده ما هو طيب والآخر ما هو خبيث ، وبين الحالتين يمكن تصنيفها وتوصيفها .

والسائد متنوع ومتعدد إن كان طيبا أو خبيثا ، ويتوالد بسرعة فائقة وفقا لمتواليات هندسية متوالية ، مما يجعله يمتلك قوة فائقة على تقرير مصير الجيل الذي يتمكن منه ويقبض على وجوده .

وهذه بعض الحالات التي تسود وتفتك وتدمر وتقود إلى خسران شديد:

أولاً: الغباء السائد والذكاء البائد!!

العالم المعاصر ميدان لصراع وتفاعل الأذكاء ، وكل أمة تؤهل أبنائها ليكونوا في مقدمة الركب ، وتحملهم مسؤولية الحاضر والمستقبل ، وإرادة المصير .

والمجتمعات القوية ذات قدرات وطاقات ذكية ، والمجتمعات الضعيفة ضحية الكراسي الغبية .

وكلما إزدادت المسافة ما بين درجات الذكاء والغباء ، إزدادت الفواصل ما بين الحالتين .

فالذكاء قوة ، والغباء ضعف .

وجمهرة من العقول الذكية المتفاعلة ، تؤسس لحالة ذكية فائقة ومتميزة ، ومجموعة من العقول الغبية ، تؤدي إلى صياغات أشد غباءً من واحدتها .

وفي هذا الخضم القائم في الحياة ، تتحدد معالم وإتجاهات الصيرورات الوطنية والمصيرية لكل مجتمع .

ففي المجتمعات المتقدمة يكون القادة ، أكثر ذكاءً من المجموع العام ، والمجتمع يمتلك آليات لتأهيل الأذكاء للوصول إلى مقدمة الركب وقيادة المسير ، فيكون التفاعل والتنافس ما بين جمهرة الأذكاء ،

المجتمعات البشرية يقودها ما يسودها ، فإذا سادها الطالح فهي طالحة ، وإن سادها الصالح فهي صالحة ، فإذا تسيد عليها الفساد تكون فاسدة ، وإذا تمكن منها العدل والإنصاف كانت مجتمعات آمنة مطمئنة

السائد متنوع ومتعدد إن كان طيبا أو خبيثا ، ويتوالد بسرعة فائقة وفقا لمتواليات هندسية متوالية ، مما يجعله يمتلك قوة فائقة على تقرير مصير الجيل الذي يتمكن منه ويقبض على وجوده

العالم المعاصر ميدان لصراع وتفاعل الأذكاء ، وكل أمة تؤهل أبنائها ليكونوا في مقدمة الركب ، وتحملهم مسؤولية الحاضر والمستقبل ، وإرادة المصير

جمهرة من العقول الذكية المتفاعلة ، تؤسس لحالة ذكية فائقة ومتميزة ، ومجموعة من العقول الغبية ، تؤدي إلى صياغات أشد غباءً من واحدتها

والمُعَبَّرِينَ عن ذكائهم بما أوجدوه من مؤسسات ومشاريع ، وصناعات ومبتكرات وإخترعات ، ومنطلقات لرؤية الحاضر والمستقبل.

وفي المجتمعات المتأخرة ، يكون القادة أصحاب ذكاء ضمن المعدل العام أو أقل منه ، ولا تجد بينهم مَنْ هو صاحب ذكاء فائق ، لأن هذه المجتمعات أوجدت آليات لإبادة الأذكىاء ، وطردهم وتهجيرهم والتخلص منهم ، ذلك أن معاشر الأغبياء هم الذين يتمتعون بالقوة والقرار .

والذكاء يقاس اليوم من الكلام ، والخطب والقدرة على استخدام اللغة ، ومن القرارات وإمكانية إدارة الحوار والتفاعل مع الآخر ، وفي قابلية حلّ المشاكل والثقافة العامة.

ولو قيّمنا أصحاب الكراسي في مجتمعاتنا ، لوجدناهم يعجزون عن حل المشاكل ، بل بوجودهم تتفاقم ، والأوضاع تتأزم ، وتراهم يتمتعون بإدامتها والتوكل فيها .

ولو قارنا بين أي مسؤول في المجتمعات المتقدمة ، وأي مسؤول في مجتمعاتنا ، لإتضح الفرق في درجة الذكاء .

فتأملوا ما يحصل في مجالس المجتمعات المتقدمة ومجالس مجتمعاتنا ، وقارنوا قدرات الخطاب وإستعمال اللغة ، والنباهة والبديهية وسرعة الإجابة الدقيقة ، وقدرات النظر والتقدير ، وستعرفون لماذا نحن لا نستطيع حل أي مشكلة ، وهم مؤهلون لإيجاد الحلول لأية مشكلة؟

فهل من إرادة وآلية لدفع الأذكىاء إلى مقدمة ركب الحياة ، في مجتمعاتنا المبتلاة بغيرهم ، لكي نعاصر ونكون!!؟

ثانيا: الإنفعالية السائدة!!

الواقع العربي إنفعالي الطباع والسلوك ولا يمكن للعقل أن يجد دورا وتأثيرا فيه ، والمصيبة الكبرى أن مؤججات الإنفعالية تتراكم وتتفاقم ، ومعززات العقل تتناقص وتغيب ، وتلك محنة جوهرية تساهم في تنمية الإنكسارات وإستلطف الخيبات والقهريات ، والتعني بالمظلوميات والحرمانيات وغيرها من السلبيات والإنكسارات.

ليس ما تقدم حكما مُسبقا أو رميا بسوء ، وإنما واقع مرير تعيشه الأجيال وما وجدت لها منه مخرجا ، فوصلت بها الأحوال إلى ما هي عليه اليوم من السعي إلى الهروب والهجران ، للتخلص من محنة الموت في الأوطان المعبأة بالعدوان.

والمشكلة أن المجتمعات تمر بسورات إنفعالية ينتفي فيها العقل وتتسبّد أمارات السوء ، ولكن وقتها معلوم ولا يدوم ، كما هو دائم ودائب عندنا ، فالمجتمعات الأوروبية وغيرها مرّت بفترات زمنية ذات نزعات إنفعالية هوجاء ، لكنها هدأت وعادت إلى صوابها وأبصرت طريقها ، أما المجتمع العربي فإنه في دوامة مفرغة من الإنفعالات التي محقت العقل وأبعدته عن الواقع والحياة ، وجعلت الأجيال تتوارد إلى أجيح ونيران وتتمتع بسلوك الإنحطاب والغياب اللذيذ في كهوف الضلال والبهتان الخصب.

هذه العلة المريرة أسهمت فيها قوى خارجية وفقا لمنطوق مصالحتها ومشاريعها ، وقوى إقليمية ، والأهم من ذلك قوى داخلية ، قررت أن تكون كرات تركلها أقدام القوى الأخرى وتضعها في المرمى الذي تريد ،

في المجتمعات المتقدمة يكون القادة ، أكثر ذكاء من المجموع العام ، والمجتمع يمتلك آليات لتأهيل الأذكىاء للوصول إلى مقدمة الركب وقيادة المسير

في المجتمعات المتأخرة ، يكون القادة أصحاب ذكاء ضمن المعدل العام أو أقل منه ، ولا تجد بينهم مَنْ هو صاحب ذكاء فائق

لو قارنا بين أي مسؤول في المجتمعات المتقدمة ، وأي مسؤول في مجتمعاتنا ، لإتضح الفرق في درجة الذكاء

تأملوا ما يحصل في مجالس المجتمعات المتقدمة ومجالس مجتمعاتنا ، وقارنوا قدرات الخطاب وإستعمال اللغة ، والنباهة والبديهية وسرعة الإجابة الدقيقة ، وقدرات النظر والتقدير

الواقع العربي إنفعالي الطباع والسلوك ولا يمكن للعقل أن يجد دورا وتأثيرا فيه ، والمصيبة الكبرى أن مؤججات الإنفعالية تتراكم وتتفاقم ، ومعززات العقل تتناقص وتغيب

فتحقق بواسطتها أهدافها , وتمرر مشاريعها , بخسائر قليلة جدا.

فالأفعال العاطفية سلوكيات كامنة يوجبها أصحابها وخصوصا الإعلام الممول والأقلام التي تكتب بمداد من يدفع أكثر , ويرعاها الجهل وسياسات التخويف والترعيب العاصفة في المجتمع العربي , الذي يعيش حالات طوارئ منذ عدة عقود , وما رفعت عنه هذه الحالات وإنما تواصلت وتعاظمت , كما نشهده في العديد من الدول التي تقف على أطراف أصابعها وهي على شفا حفرة من النار أو فيها.

وفي خضم المكتوب الإنفعالي لا يمكن للمكتوب العقلي أن يجد له موضعا أو من ينتبه إليه ويدركه ويعمل بموجبه , فالطائفية في بعض الدول هي القانون والوطنية أصبحت هذيانا وتخريفات على سطور , فلا بد من الكتابة بحبر الإنفعال لكي ينتشر المقال ويساهم في صب الزيت على النيران , وإتساع مساحة الحريق والتدمير والتهجير والثبور والخسران الأثيم.

وما دامت الأقلام تدوسها أقدام الكراسي وعجلات المآسي , فإن المجتمع يتدرج على سفوح منحدرات حادة , ستأخذه إلى إمبراطوريات أبي لهب وكل واحد من حوله حمال حطب!!

عاشت العواطف والطوائف في دنيا العرب , فكأنهم لا يبصرون كيف بأندلسٍ دقت أجراس عطب؟!!!

ثالثا: الموت السائد والحياة المغيبة!!

البيئة العربية الإجتماعية والنفسية والفكرية والثقافية يسودها الموت , مما ينعكس على النشاطات والتفاعلات الحاصلة في الواقع العربي.

وهذه الثقافة الموتية تسربت إلى دياجير اللاوعي وتخللت في مسامات الرؤى والتصورات والمعتقدات , حتى أنها حلت في الطعام والشراب والهواء , فما عاد للحياة فجوة أو فرصة وقدرة على التواصل والتفاعل والتمدد والإتساع , وإنما هي في حالة إنحسارية يائسة باكية حزينة متوشحة بالنجيع.

فما تخطه الأقلام وتتقوه به الألسن وتطرحة العقول وتعتبر عنه التفاعلات والسلوكيات اليومية المتنوعة , تعزيز لمنحى الموت ومعادي لمواطن الحياة ونوازع التطلعات لحاضر سعيد ومستقبل رغيد.

فالأنانية والمصالح الشخصية المقيتة تمكنت من جميع الكراسي , حتى صار الشعب يولي عليه السراق والفاستين والخانعين للآخرين , الذين ينفذون أجنذات الويلات والتداعيات والإستثمار بالنكبات , وكلها تعمل بجد وإجتهد , وقد مسحت آخر قطرة حياء من جبينها المعفر بالذل والهوان والمخازي الجسام.

وهذه العوامل المميتة التي تداخلت في صناعة الواقع المرير الذي تعيشه بعض المجتمعات العربية وتتمحن فيه , وكأنها في أحوال الويلات والتدهورات السيئة والخسائر الفظيعة الشنيعة المهيمنة على آفاق الوجود البشري , والمؤدية إلى تصارعات إتلافية وإنحذارات إنقراضية قاسية ومدمرة للمدن والعمران.

فالتكريه بالحياة وتحبيب الموت من الثقافات المنتشرة في العديد من المجتمعات , مما تسبب في تشويش في الرؤى وخلل في التفكير البشري , ودفع لليأس والقنوط وعدم الإكتراث بما يجري وما ستؤول إليه الأحداث , وما ينزل على البشر من الويلات والتداعيات.

وكان البشر قد جاء ليموت وحسب , وعليه أن يلغي مسيرة وجوده ما بين الولادة والموت , وأن الحياة نكتة

المشكلة أن المجتمعات تمر بسوراة إنفعالية ينتهي فيها العقل وتتسبب أماراته السوء , ولكن وقتها معلوم ولا يدوم , كما هو دائم وحائب عندنا

الأفعال العاطفية سلوكيات كامنة يوجبها أصحابها وخصوصا الإعلام الممول والأقلام التي تكتب بمداد من يدفع أكثر , ويرعاها الجهل وسياسات التخويف والترعيب العاصفة في المجتمع العربي

البيئة العربية الإجتماعية والنفسية والفكرية والثقافية يسودها الموت , مما ينعكس على النشاطات والتفاعلات الحاصلة في الواقع العربي

الأنانية والمصالح الشخصية المقيتة تمكنت من جميع الكراسي , حتى صار الشعب يولي عليه السراق والفاستين والخانعين للآخرين

التكريه بالحياة وتحبيب الموت من الثقافات المنتشرة في العديد من المجتمعات , مما تسبب في تشويش في الرؤى وخلل في التفكير البشري , ودفع لليأس والقنوط وعدم الإكتراث بما يجري وما ستؤول إليه الأحداث

كأن البشر قد جاء ليموت
وحسب , وعليه أن يلغى مسيرة
وجوده ما بين الولادة والموت ,
وأن الحياة نكتة أو ورطة , أو
توحد أليم , وإنه وُجد محبًا

الإنسان مخلوق ليحمر الأرض
ويسعى في مناكبها طيبًا عزيزًا
حرا كريما يعرفه حدود خالقة
ورسالته , وعليه أن ينقب في
أعماقه ليستخرج منها جواهر
التطوعات والتصورات , القادرة
على المساهمة في رسم لوحة
الوجود الأجل.

بما أن الذي يسود يقود ,
فالمطلوب منا أن نسيّد على
وجودنا ما هو نافع للقوة والنماء ,
وأن نزعج أركان من يصيبنا
بالهوان والخسران

أو ورطة , أو توحد أليم , وإنه وُجد عبثًا , ولا غاية معلومة أو واضحة من وجوده حيا وساعيا فوق التراب .

وفي هذا إفتراء على رسالة الإنسان ودوره الإيجابي الصالح , لإرساء معالم الطريق الصاعد نحو
أرقى سبل التعبير عن الإنسانية , التي تجسد معاني الخلق وتترجم أفكار السماء وتصنّع القيم والمعايير
في مشاريع وبرامج سلوكية , ذات مردودات فاضلة ومطورة للتفاعلات الأسمى والأرقى .

فالإنسان مخلوق ليعمر الأرض ويسعى في مناكبها طيبا عزيزا حرا كريما يعرف حدود خالقة ورسالته,
وعليه أن ينقب في أعماقه ليستخرج منها جواهر التطوعات والتصورات , القادرة على المساهمة في رسم
لوحة الوجود الأجل.

فالموجودات طاقات متفاعلة وقدرات متطورة متوثبة للنهوض بمهام التحرر من الإنحباس في وعاء
محكوم بالجذب والتنافر والدوران , وبهذا الهمة والتوقد الوعيوي والإدراكي , يمكن للإنسان أن يشيّد عمارة
الرسالة الخلقية الطاهرة النقية المتسعة , المستوعبة لجماهير الأجيال الوافدة الحاملة بالوصول إلى ذروة
السعادة الوجودية , والتعبيرات الخلقية الصاعدة نحو آفاق المطلق الخفاقة بالقيم الكبرى الصالحة ,
والمتمفقة مع إيقاعات الكون وألحانه ونغمات ما فيه من نبضات وتطلعات سرمدية.

وبما أن الذي يسود يقود , فالمطلوب منا أن نسيّد على وجودنا ما هو نافع للقوة والنماء , وأن نزعج
أركان من يصيبنا بالهوان والخسران , فالأمم والمجتمعات تؤكد ما فيها في واقعها , فأحوالها مرآة لما فيها
, فإذا كان الذي فيها صالحا ومنيرا , يكون ما حولها كذلك , والعكس صحيح تماما .

ولهذا يتوجب علينا التمسك بإرادة الحياة المتوثبة المؤمنة بتحقق ما فيها من التطوعات والأهداف
والأمنيات , وأن نعمل بثقة وجد وإجتهد على نشر ثقافة الأمل والإيمان بقدرتنا على صناعة حياتنا
بإمكاناتنا الذاتية والموضوعية , فالإرادة بذرة تورق غابات وجود!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa227-280119.pdf>

**** * * * *

مؤسسة العلوم النفسية العربية

اشتراكات العضوية التثجيعية

العضوية الفخرية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=41&controller=category&id_lang=3

الشريك الراسخ للعام (2019)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=125&controller=product&id_lang=3

الشريك الماسي المميز للعام (2019)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

الشريك الماسي للعام (2019)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

العضوية الشرفية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=40&controller=category&id_lang=3

الشريك المُميّز للعام (2019)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

الشريك الذهبي للعام (2019)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3